الأثنية المنهجية

L'ethnométhodologie

ماذا تعني؟

عندما نحلل الكلمة نجدها مشكلة من الأثنية وتشير إلى مجموعة بشرية بالمعنى الانثروبولوجي العرقي المثقل بالدلالة الثقافية. والمنهجية التي تعني الطريقة والأسلوب في التحليل والبحث. بالنتيجة الكلمة تشير إلى المنهج الذي يستخدم في السوسيولوجيا لتحليل وبحث كيف تتشكل الممارسات والتفاعلات اليومية لجماعة بعينها.

من حيث الاصطلاح تشير الاثنية المنهجية إلى دراسة طريقة التفكير العملية التي يستخدمها الأفراد للعيش في العالم الاجتماعي[1]. يعتبر عالم الاجتماع الأمريكي "هارولد جارفنكل" أول من صاغ هذا المصطلح وذلك عام 1967، ضمن كتاب تحت عنوان : " دراسات في الاثنوميثودولوجيا ".

وهناك من يعرف الاثنية المنهجية على أنها "اتجاه في الدراسة الاجتماعية تحاول أن توضح كيف يفهم الناس ما يقوله الآخرون ويفعلونه أثناء التفاعل الاجتماعي اليومي"[2]

الأصول المرجعية للمنهج الاثنوميتودولوجي:

بالنسبة لكثير من الكتاب، فإنّ الإثنوميثودولوجيا كمقاربة منهجية في فهم الواقع الاجتماعي تستند إلى مرجعيتين:

1- التفاعلية الرمزية والفينومينولوجية المتأثرتين إلى حد بعيد بالتقاليد البرغماتية والفلسفة التحليلية.

2- الاتجاهات النقدية التي شهدها علم الاجتماع في الستينات من القرن العشرين، حسب "الفن جولدنز"

أما عن الظروف التي هيأت لتبلور هذا المنهج في التحليل والبحث السوسيولوجي، فتتلخص في تراجع أو ضعف القدرة على التفسير السوسيولوجي لدى النظريات السوسيولوجية الكبرى وخاصة البنائية الوظيفة. وغيرها من النظريات القائمة على مسلمات الفلسفة الوضعية التي ترى في النموذج العلمي الطبيعي، الطريق الوحيد الذي ينبغي أن نسلكه في دراسة الظواهر الاجتماعية، دون مراعاة لخصوصيات هذه الظواهر التي تختلف بشكل قطعي عن الظواهر الطبيعية.

القناعات الفكرية التي تقوم عليها الاثنية المنهجية:

الإثنوميتودولوجيا (أو "الإثنية المنهجية") تقوم على مجموعة من القناعات الفكرية الأساسية التي تميزها داخل علم الاجتماع، وقد بلورها أساسًا هارولد غارفينكل .هذه أهمها:

1-**الواقع الاجتماعي مُنتَج يوميًّا:** ليست هناك حقيقة اجتماعية جاهزة وثابتة، بل يقوم الأفراد بإنتاجها باستمرار من خلال تفاعلاتهم اليومية. "النظام الاجتماعي" هو نتيجة عمل الناس، لا مجرد بنية مفروضة عليهم.

2-التركيز **على المعنى بدل القوانين العامة:** ترفض البحث عن قوانين كونية ثابتة للسلوك، وتركز بدلًا من ذلك على كيف يفهم الناس أوضاعهم ويعطونها معنى داخل سياقات محددة.

3-المعرفة **العادية (الشعبية) أساس الفهم:** الأفراد يستخدمون معرفة يومية بديهية لفهم العالم والتصرف فيه. هذه المعرفة ليست سطحية، بل هي منظمة وتخضع لقواعد ضمنية دقيقة.

---

[1] جان فرانسوا دورتيه، معجم العلوم الإنسانية، تر: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع كلمة، ط2، بيروت، 2011. ص. 1018

[2] أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، بيروت، 2001، ص. 164.

4-**القواعد الاجتماعية ضمنية وغير مكتوبة:** التفاعل الاجتماعي تحكمه قواعد غير مصرح بها، لكنها مفهومة ضمنيًا. لا ننتبه إليها عادة إلا عندما تُخرق.

5-القابلية **للفهم:** كل سلوك اجتماعي قابل لأن يُشرح ويُفهم من طرف الآخرين. الأفراد يقدمون أفعالهم بطريقة تجعلها "معقولة" ومقبولة اجتماعيًا.

6-**السياقية:** المعاني ليست ثابتة، بل تعتمد على السياق. نفس العبارة أو الفعل قد يحمل معنى مختلفًا حسب الموقف الذي يحدث فيه.

7-الانعكاسية: التفاعل لا يعكس الواقع فقط، بل يساهم في بنائه. بمعنى أن وصفنا للوضع هو جزء من صنع هذا الوضع نفسه.

8-**أولوية دراسة التفاصيل الدقيقة:** لفهم المجتمع، يجب تحليل التفاعلات الصغيرة جدًا (كالمحادثات اليومية)، لأن فيها تُبنى البنية الاجتماعية الكبرى

الاثنية المنهجية كاتجاه نظري ومنهج في البحث السوسيولوجي؟

تتضمن الاثنية المنهجية كغيرها من المقاربات المنهجية مستويين:

أولا: مستوى التصور الفكري الذي يجعل منها إتجاها نظريا أو إطارا فكريا داخل علم الاجتماع يهتم بكيفية انتاج الأفراد للنظام الاجتماعي في حياتهم اليومية. ويقوم على مجموعة من القناعات الفكرية:

- الواقع الاجتماعي ليس معطى جاهزًا، بل يُبنى من خلال تفاعلات الناس .
- تركّز على مفاهيم مثل: المعنى المشترك، القواعد الضمنية، والفهم اليومي .
- تهتم بسؤال :*كيف يجعل الأفراد العالم قابلاً للفهم؟*

ثانيا: مستوى الممارسة البحثية أين تتحول الاثنية المنهجية إلى طريقة في البحث والتحليل ودراسة الواقع ميدانيا معتمدة على أدوات وتقنيات تتوافق وتنسجم مع تصوراتها النظرية لهذا الواقع.

- تعتمد على ملاحظة التفاعلات اليومية بدقة (في الشارع، المؤسسات، المحادثات...) .
- تستخدم تقنيات مثل تحليل المحادثة، والتجارب الخرقية .
- تركز على التفاصيل الدقيقة لكيفية إنتاج المعنى أثناء التفاعل .
- تهدف إلى كشف الطرق التي يستعملها الناس لتنظيم حياتهم اليومية .

بمعنى آخر يمكن اعتبار الاثنية المنهجية بمثابة رؤية نظرية واتجاه في تفسير الواقع الاجتماعي يطرح سؤال ماذا ندرس ولماذا؟ ومنهج أو طريقة في الممارسة البحثية والملاحظة الميدانية تطرح سؤال كيف ندرس؟

المراجع:

- جان فرانسوا دورتيه، معجم العلوم الإنسانية، تر: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع كلمة، ط2، بيروت، 2011.
- أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، بيروت، 2001